

## تأملات فى طقس تدشين الأيقونة

### نيافة الأنبا رافائيل

#### 1- الأساس اللاهوتى للأيقونة :



إن إكرام الأيقونات فى كنيستنا الأرثوذكسية يستند إلى أهم عقيدة نؤمن بها ، ولها أثر مباشر فى قضية خلاصنا ، وهى عقيدة تجسد الله وحضوره الحقيقى بيننا ؟ فعندما نكرم الأيقونات فإننا نعلم إيماننا بحقيقة تجسد وتأنس ربنا يسوع المسيح .

ففى العهد القديم تعامل الله على الناس بواسطة أفعال إلهية وعن طريق أفواه الأنبياء أما فى العهد الجديد فقد تجسد كلمة الله "وحل بيننا ورأينا مجده" (يو 1:14) ، "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه .. الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمته قدرته" (عب 1:1-3) أى أن الأب نفسه ظهر للبشر بشخص الابن "أنا معكم زمناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيليس ! الذى رأى فقد رأى الأب" (يو 9:14) أى أننا نستطيع أن نرى الله فى شخص ربنا يسوع المسيح ، وهذا ما تتميز به عن الوضع فى العهد القديم لأن المسيح هو "صورة الله غير المنظور (كو 1:15) ، لذلك أمكننا أن نرسم أيقونة للمسيح "الذى هو صورة الله" (2كو 4:4) كفلاحة منظورة لحضور الله غير المنظور وتأكيد لهذا الحضور الإلهى وتبنيه للذهن إلى أصل الصورة أى المسيح نفسه . فنحن لا نخلط بين الصورة والأصل ولا نعبد الخشب والألوان والأوراق التى تكون الصورة بل نعبد الله الحى وحده ونكرم أيقونته .

#### 2- عهد الناموس والأيقونات :

لقد منع شعب العهد القديم من صنع الأصنام والصور وعبادتها : "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهم ولا تعبدهم" (خر 20: 4،5) فكيف نفس هذا الأمر؟

إن المعنى الحقيقى لهذه الوصية واضح فيما قبله من آيات : "أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن إلهة أخرى أمامى" (خر 20: 2،3) فالغرض من الوصية ألا ينقاد الشعب إلى عبادة غريبة عن الله ، خاصة وأنهم كانوا قد خرجوا للتؤمن أرض مصر التى تلوثت بعبادات وثنية عديدة وآلهة كثيرة وكانوا - وقتئذ وحتى مجئ المسيح - محاطيه بأمم كثيرة تعبد آلهة عديدة مصورة فى تماثيل وأحجار وألواح ... لذلك كان يؤكد الله عليهم دائماً ألا يختلطوا بالأمم وألا ينتجسوا بعباداتهم الرديئة "أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى" (اش 6:44) ومع ذلك فقد سقط الشعب الإسرائيلى مراراً عديدة فى العصيان وعبادة الأوثان لذلك كان من المنطقى أن يشدد الله عليهم ألا يلتفتوا إلى النحوتات ومصنوعات الأيادى والصور وأن يعبدوا فقط الله غير المنظور .

ومع وجود هذا المنع القاطع إلا أن الله قد أوص شعبه فى العهد القديم أن يصنع بعض الأدوات المادية التى تساعد فى العبادة وأن تتال هذه الأدوات كرامة وتقديساً يليق بالله الحاضر فيها والمعلن عنه بواسطتها مثل :

1- **لوحى العهد** : "ثم قال الرب لموسى أنحت لك الوصية من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللوحين الكلمات ..." (خر 34:1) ولا شك أن هذين الوصية قد نالا كرامة ومجداً واحتراماً من بنى إسرائيل ولم يكن أحد يجرؤ أن يلمسها أو حتى أن ينظر إليهما إذ قد حفظا فى التابوت الذى لا يلمسه أحد به يحمله اللاويون بطقس خاص دون أن يلمسوه ومع كل هذا التوتير الزائد للالواح لم يكن يعتبر هذا انحراف أو عيادة ألواح .

2- **محتويات خيمة الاجتماع** : وقد شرح الرب لموسى أدق تفاصيل صناعة التابوت والمائدة والمذبح مرحضة النحاس والمسكن وكل هذه كانت تعامل بوقار وهيبة ولا يقترب إليها إلا اللاويون باستعدادات خاصة وبطرق خاصة حتى أنه عندما "مد عزة يده إلى تابوت الله وأمكن لأن الثيرات انشمصت ، محمى غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفلة فما ، هناك لدى تابوت الله" (2صم 6:6،7) .

3- **تماثيل أخرى** : فقد أوصى الله بعمل تماثيل من الذهب للكارويم "وتصنع كرويين من ذهب . صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء . فاصنع كرويا واحداً على الطرق من هنا . وكرويا آخر على الطرق من هناك . من الغطاء تصنعون الكرويين على طرفين . ويكون الكرويان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنتها على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر . نحو الغطاء يكون وجهاً الكرويين" (خر 25:18-20) وهذا الكارويان اسمها معلمنا بولس " كارويا المجد" (عب 9:5) .

4- **فى هيكل سليمان** : "وعمل فى لامحراب كرويين من خشب الزيتون على الواحد عشر أذرع ... وشكل واحد الكرويين ... وغشى الكرويين بذهب . وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشاً بنقر كرويم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج ... ورسم عليها نقش كرويم ونخيل وبراعم زهور ... وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفاً من جوائز الأرز" (1مل 6:23-36) وأشكال أخرى كثيرة عملها الملك سليمان نعمل تماثيل لأثنى عشر ثوراً يحملون حوضاً كبيراً للمياه له شفة منقوشة بمنظر قنأ مستديراً صغير والشفة نفسها كمثل شفى كأس بزهر سوسن (راجع 1مل 7:23-26) ، ومناظر أسود وثيران وقلائد زهور وأكاليل أعمده مزينة برمانات ... الخ (راجع 1مل 7:29-50) .

كل هذا يدلنا على أن الله عندما أوصى بعدم عمل صور وتماثيل لم يخطر استعمال أدوات للعبادة ولكنه منعاً قاطع عبادة الأوثان وتألين المادة .

### 3- عهد النعمة والأيقونات :

#### لقد تغير الوضع بسبب التجسد :

- 1- التجسد قدس المادة وأعاد إليها بهاءها الأول وإمكانية اتحاد الله بالإنسان وتجليه فى المادة .
- 2- صار الله حاضراً فينا ورأيناه وتلامسنا معه فلم يعد قريباً لذهن الإنسان أن يتخيل الله فى شكل وثن كما حدث قديماً بسبب احتجاب الله وانحجاب موثته .
- 3- ترفت البشرية وصار الله يعاملها كالبنين الناضجين "سمعتم أن قيل للقديس .. أما أنا فأقول لكم ..." فلم تعد هناك رغبة انحراف العبادة إلى الأوثان .
- 4- الله بتجسده قد جدد طبيعتنا الساقطة الفاسدة وجعلنا مشابهة صورته "لأن الذين سبق نعرفهم سبق نعينهم ليكونوا مشبهين به صورة ابنه ليكون هو بكاراً بين إخوة كثيرين" (رو 8:29) ، "الذى سينير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فى 3:21) ، لذلك صار فى إمكاننا أن نعاين الصورة الأصلية للإنسان التى قصدتها الله فى آدم ... نراها فى أولئك الذين جددهم المسيح بتجسده وحفظوا بطهارتهم نقاوة الصورة فلبسوا "صورة السماوى" (1كو 15:49) ، "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (2كو 3:18) .
- فالأيقونة الكنسية لا ترسم شخصياً عادياً (كالفوتوغرافى) ولكنها ترسم "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق" (أف 4:24) .

#### 4- ماذا يحدث فى طقس تدشين الأيقونات ؟

- 1- التدشين هو التكريس أى التقديس والتخصيص لله ... فتصير الأيقونة بعد تدشينها أداة مقدسة لإعلان حضور الله بفعل الروح القدس ؛ لذلك وجب تكريمها والتبخير أمامها وتقبيلها بكل وقار .
- 2- يقوم بطقس التدشين الأب الأسقف وليس غيره ... والأصل فى ذلك أن كل أعمال الكهنوت كالمعمودية والأفخارستيا وسيامات الكهنوت والشمامسة والتدشين والزواج وغيره كان يقوم بها الأب الأسقف وبعاونه فى ذلك الأباء الكهنة ... وعندما اتسعت المسيحية وكثر المؤمنون وظهرت الحاجة ملحة إلى ممارسات كهنوتية فى كل مكان وفى أطراف الإيبارشيات ، سمح للكاهن بأن يمارس الممارسات المتكررة كالمعمودية والأفخارستيا والزواج ومسحة المرضى وغيره ... أما الطقوس التى قد تمارس مرة واحدة فى العمر وفى مناسبات نادرة مثل تدشين الكنائس والمعموديات والأيقونات وإدارة المذبح فطلب من اختصاص الأسقف بالإضافة إلى سيامات الكهنوت والشمامسة ...
- 3- فى الصلاة التى يصليها الأب الأسقف لتدشين الأيقونة يذكر الأساس الكتابى واللاهوتى لعمل الأيقونات :



أ- **الأساس الكتابي** : "أيها السيد الرب الله ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى من قبل عبده موسى أعطانا الناموس منذ البدء أن يضع فى قبة الشهادة (خيمة الاجتماع) نماذج للشاروبيم (تماثيل) هؤلاء الذين يغطون بأجنحتهم على المذبح . وأعطيت كلمة لسليمان من جهة البيت الذى بناه لك فى أورشليم" وهنا فى ايجاز تذكر الكنيسة مرجعها الكتابى فى عمل الأيقونة .. وكأنها ترفع أذهان المؤمنين وأن يرجعوا فى الكتاب كل الزينة والنقوش والصور والمثالات التى صنعها كل من موسى وسليمان عند بناء بيت الله سواء أيام أن كان خيمة أو عندما بنى كحجارة ...

ب- **الأساس اللاهوتى** : "وظهرت لاصفيائك الرسل بتجسد ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ليينوا لك كنائس وأديرة على اسم قديسيك وشهدائك" وهنا تبرز الكنيسة إن الأساس الخريستولوجى الذى تبنى عليه الكنائس وما فيها هو ظهور الابن الوحيد وتجسده كما سبق أن شرحنا فى هذا المقال .

ج- **عمل الروح القدس** : "من أجل هذا نسأل ونطلب منك يا محب البشر أرسل روحك القدوس على هذه الصور التى للقديسين أو (للشهداء) (الفلايين)" إننا نؤمن إيماناً قاطعاً أن الروح القدس يحل على الأيقونات بالصلاة وبالدهن بالميرون فيقدسها ويؤهلنا للكرامة والتوقير الذين تستحقها فيرشم الأسقف الأيقونات بالميرون وينفخ فيها نفخة الروح القدس قائلاً : "فليكونوا ميناء خلاص . ميناء ثبات .. لكى من يتقدم إليهم بأمانة (بايمان صادق) ينال نعمة من الله بواسطتهم لمغفرة الخطايا" .  
إنه تعبير رائع تطلقة الكنيسة على الأيقونة إنها ميناء خلاص وميناء ثبات لكل نفس متعبة فى بحر العالم المتلاطمة الذى يزعج سلامنا وأمننا ويهددنا بالفرق فى الخطية والمشاكل والهموم الدينونة .. فتلجأ النفس إلى أيقونات القديسين لدى فيهم إشعاعات النور الإلهى .. وترى فيها إلهام النصر والطهارة فتتشجع النفس وترتقى إلى السماويات ماسكة برجاء المجد ... ناظرة إلى رئيس الإيمان ومكملة الرب يسوع ...

د- **خاتمة الصلاة** : "لأنه مبارك ومملوء مجداً اسم القدوس أيها الأب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين" حقاً القديسون يمجدونك يارب وبمجد ملكك ينطقون .. ووجودهم بيننا فى الكنيسة هو برهان مجد الله "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت 5:16) .  
لذلك تعتبر الكنيسة أن تدشين الأيقونة هو مباركة وتمجيد لاسم الله القدوس ... إذ عندما يلتفت المؤمنون إلى كرامة القديسين ومجدهم ترتفع أنظارهم إلى السماء ليمجدوا اسم الله ويباركوه . لك المجد فى جميع القديسين الله .